سبيل السلام

في

ابقاء المقام

تأليف

سماحة شيخ الاسلام الحاج ابراهيم نياس الكولخي

المرشد العام لجماعة انصار الدين بغرب افريقيا ونائب
رئيس موتمر العالم الاسلامي بكراشي ، وعضو المجلس
التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمه

١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد العليم الحكيم ، سبحانه فهو المجيد فعّالٌ لما يريد لا يُسألُ عمّا يفعل وهو العليّ العظيم ، مَنْ جَعَل إبراهيم أمّةً قانتاً لله حنيفاً ؛ وهو الأب الرّحيم والأوّاه الحليم ، وجَعَل محمّداً وأتباعَه أولى النّاس بابراهيم الكريم ، وجعل الأمْنَ لمن دخل مقامَه : المُصَلّى وهو المقام الخالد الجسيم ، صلوات الله وسلامُه عليه وعلى نبيّنا الرؤف الرحيم « عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » فهو أفضلُ قائدٍ وقدوةٍ وأُسوةٍ وإمام ، بل الخيرُ مقصورٌ في اتباعه ؛ فهو الذي في تقليده بلا شكٍ « سبيلُ السلام » وعلى آله وصحابته ومَنْ تبعهُم من جميع الأنام .

أمّا بَعْدُ : فاني أُوجّه هذه الرسالةَ المتواضعةَ وأرفعها الى معالي الأمين العام « لرابطة العالم الاسلامي » بمكة : الأستاذ السيد محمد سرور الصّبان ، ليرفعها الى سماحة المفتي الكبير الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ،

والى اعضاءِ المجلس التأسيسي للرابطة ، تمهيداً للمناقشة في قضية مقام ابراهيم : ابقاءً أو تنحيةً عند توسعة المطاف ، ولها مقدّمةٌ ، وبابان ، وخاتمة ، المقدمة في معنى المقام في كلام العرب ، والبابُ الأوّل في أقوال العلماء المفسرين والمؤرخين ، وما جاءَ من الآثار حول مقام ابراهيم .

والباب الثاني في بحوث في هذا الموضوع ، والخاتمة في الحثّ على الاتّباع وعدم الابتداع . وسمّيتُها :

سبيل السلام في ابقاء المقام

وأسأل الله العلي القدير أن يبارك فيها ، وينفع بها ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وما ذلك على الله بعزيز .

مقدّمة

في معنى المقام في كلام العرب

ففي القاموس : المقامة : المجلس والقوم ، وبالضّم : الإقامة ، كالمقام والمُقَام ، ويكونان للموضع ، لبيد :

عَفَتِ الدّيار محلّها فَمقامها .. البيت .

ووردت كلمة المقام في القرآن الكريم على معانٍ متقاربة ، وكذلك ورد في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم . قال تعالى : « مَقَامَ إبراهيم ومن دخله كان آمناً » « واتخذوا من مَقام ِ ابراهيم مصلّى » . « فآخَرَان ِ يقومان مَقَامها » . « يقوم ان كان كبر عليكم مقامي .. » . « ذلك لمن خاف مقامي » . « ولمن خاف مَقَام ربّه جنّتان » . « وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هي المأوى » « عسى أن يبعثك ربك مَقاماً محموداً » . وفي الحديث « وابعثه مقاماً محمودا الذي وعدته » وقال تعالى : « وقال الذين كفروا أيّ الفريقين

خير مقاماً وأحسن نديّاً » « يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا » « حسنت مستقرّا ومقاماً » بضم الميم . « ومقام كريم » . إن المتقين في مَقَام أمين » . « وما منّا الاّ له مقام معلوم . »

فالمقام في هذه الايات الكريمة : المكان والموضع ، فمقامك حيث اقامتك ، والله وليّ التوفيق .

الباب الأول

في اقوال العلماء المفسرين والمؤرخين وما جاءت من الآثار والأحاديث حول مقام ابراهيم

جاء في تفسير الدرّ المنثور لجلال الدين السيوطي ما نصّه : « وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى » قال : مَدْعى .

« وأخرج الأزرقيّ عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السّهميّ عن أبيه عن جدّه قال : كانت السّيول تدخل المسجد الحرام من باب بني شيبةَ الكبير ، قبل أن يَردِمَ عُمَرُ الرَّدْمَ الأعلى ، فكانت السيولُ ربما رفعت المقام عن موضعه ، وربّما نحّته الى وجه الكعبة ، حتّى جاءَ سيلُ أمّ نهشلٍ في خلافة عمر بن الخطاب ، فاحتملَ المقام من موضعه هذا فذهب به حتّى وُجِدَ بأسفلِ مكّةَ فأتِيَ به فربط الى ستار الكعبةِ وكُتِب في ذلك الى عُمَرَ فأقبل فَزِعاً في شهر رمضان ،

وقد غُمِّيَ موضعُه وعفّاه السّيلُ ، فدعا عمر بالناس فقال : أنشد الله عبداً عنده علم في هذا المقام ، فقال المطّلب بن أبي وداعة : أنا يا أمير المؤمنين ، عندي ذلك كنت أخشى عليه هذا ، فأخذت قدرَه من موضعه الى الرّكن ، ومن موضعه الى باب الحجر ، ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهو عندي . وأرسل فأتى بها فمدّها فوجدها مستويةً الى موضعه هذا ، فسأل النّاس وشاورهم فقالوا : نعم هذا موضعه ، فلمّا استثبت ذلك عمرُ ، وحقّ عنده ؛ أمر به فأُعْلِمَ ببناءِ رَبَضَةٍ تحت المقام ثم حَوَّلَهُ ، فهو في مكانه هذا الى اليوم .

« وأخرج الأزرقيّ من طريق سفيان بن عيينة عن حبيب بن أشرس قال : كان سيلُ أمّ نهشلٍ قبل أن يعمل عمر الرَدَمَ بأعلى مكّةَ فاحتمل المقامَ من مكانه فلم يُدْرَ أين موضعُه ، فلمّا قدم عمر بن الخطاب سألَ مَنْ يعلم موضعَه ، فقال المطّلب بن أبي وداعة أنا يا أمير المؤمنين قد كنت قدّرتُه وذرعتُه بمقاط ، وتخوّفت عليه هذا . من الحجر اليه ومن الركن اليه ، ومن وجه الكعبة ، فقال ائتِ به فجاء به فوضعه في موضعه هذا . وعمل عمر الرّدَمَ عند ذلك ، قال سفيان فذلك الذي حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه : أنّ المقام كان عند سفح البيت ، فأما موضعه الذي هو موضعه فموضعه الآن . وأمّا ما يقول الناس انه كان هنالك موضعه فلا » .

« وأخرج الأزرقيّ عن ابن أبي مليكة قال : موضع المقام هذا الذي هو به اليوم هو موضعه في الجاهلية ، وفي عهد النبيّ وأبي بكر وعمرَ الاّ ان السيل ذهب به في خلافة عمر فجعل في وجه الكعبة ، حتى قدم عمر فردّه بمحضر الناس .

« وأخرج البيهقيّ في سننه عن عائشة أنّ المقام كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وزمانِ أبي بكر ملتصقاً بالبيتِ ثم أخّرهُ عمر بن الخطاب .

« وأخرج ابن سعد عن مجاهد قال : قال عمر بن الخطاب من له علم بموضع المقام حيث كان ؟ فقال أبو وداعة بن صبيرة السهميّ : عندي يا أمير المؤمنين ؛ قدرته الى الباب ، وقُدرته الى ركن الحجرِ ، وقدرته الى الركن الأسود فقال عمر : هاته . فأخذه عمر فردّه الى موضعه اليوم » للمقدار الذي جاء به ابن أبي وداعة .

« وأخرج الحميديّ وابن النجار عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : من طاف بالبيت سبعاً ، وصلّى خلف المقام ركعتين وشرب من ماءِ زمزم غُفِرتْ له ذنوبُه بالغةً ما بلغتْ » .

هذا هو ما أورد السيوطي في كتابه القيّم الدرّ المنْثور.

وأما العلامة الآلوسي فقد تناول في تفسيره (روح المعاني ج ١ ص ٣٧٩) موضوع المقام بعد كلام فقال :

« والمقام مفعَلٌ من القيام ، يراد به المكان ، أي

مكان قيامه. وهو الحجر الذي ارتفع عليه ابراهيم عليه السلام حين ضعف من دفع الحجارة التي كان ولده اسماعيل يناوله إياها.

« وأخرجه البخاري، وهو قول جمهور المفسّرين.

« وروي عن الحسن أنه الحجر الذي وضعته زوجة اسماعيل عليه السلام تحت احدى رجليه وهو راكب، فغسلت شقه الآخر، وغاصت رجله الأخرى فيه أيضاً. أو الموضع الذي كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس إلى الحجّ، ورَفَعَ بناءَ البيت، وهو موضعه اليوم. فالمقام في أحد المعنيين: حقيقة لغوية. وفي الآخر مجاز متعارفٌ ويجوز حمل اللّفظ على كلّ منهما – كذا قالوا – إلا أنّه استُشْكِلَ تعيينُ الموضع بما هو الموضع اليوم. لما في فتح الباري من أنّه كان المقام أي الحجر من عهد ابراهيم عليه السلام لزيقَ البيتِ الى ان أخّره عمر رضي الله تعالى عنه إلى المكان الذي هو فيه الآن. أخرجه عبدالرزاق بسندٍ قويّ.

« وأخرجه ابن مرْدَوَيْهِ بسندٍ ضعيف عن مجاهد أنّ رسولله الله صلى الله تعالى عليه وسلّم هو الذي حوّله، فان هذا يدلّ على تغايرِ موضعَيْنِ سواء كان المحوّلُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو عمرَ رضي الله تعالى عنه. وأيضاً كيف يُمكِنُ رفعُ البناءِ حين القيام عليه حالَ كونه في موضعه؟! وهو بعيد عن الحجر

الأسود بسبعة وعشرين ذراعاً . وأيضاً : المشهور أنّ دَعْوَةَ الناس إلى الحجّ كانت فوق أبي قبيس ، فانّه صعده بعد الفراغ من عمارة البيت ، ونادى أيها النّاس : حُجُّوا بيت ربّكم . فان لم يكن الحجرُ معَه حينئذ أشكل القول بأنه قام عليه ودعا . وإن كان معه وكان الوقوف عليه فوق الجبل ـ كما يشير الكلام في روضة الأحباب وبه يحصل الجمع ـ أشكل التعيين بما هو اليوم . وغاية التوجيه أن يقال : لا شك أنّه عليه السلام كان يحوّل الحجر حين البناءِ من موضع إلى موضع ، ويقوم عليه فلم يكن له موضع معيّنٌ ، وكذا حين الدّعوةِ لم يكن عند البيت ، بل فوق ابي قبيس ، فلا بدّ من صرف عباراتهم عن ظاهرها ؛ بأنْ يقال : الموضع الذي كان ذلك الحجر في أثناءِ زمان قيامه عليه ، واشتغاله بالدّعوة ، أو رفع البناءِ لاحالة القيام عليه .

« ووقع في بعض الكتب أن هذا المقام الذي فيه الحجر الآن كان بيت ابراهيم عليه السلام . وكان ينقل هذا الحجر بعد الفراغ من العمل اليه ، وأن الحجر بعد ابراهيم كان موضوعاً في جوف الكعبة ، ولعل هذا هو الوجه في تخصيص هذا الموضع بالتحويل . وما وقع في الفتح من أنّه كان المقامُ من عهد ابراهيم لزيقَ البيتِ ، معناه بعد إتمام العمارة فلا ينافي أن يكون في أثنائها في الوضع الذي فيه اليوم . كذا ذكره بعضُ المحقّقين فليُفهَمْ

وقال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» : «ذكروا أقوالاً في أنّ مقام ابراهيم عليه السلام أيّ شيءٍ هو ؟ القول الأوّل انه موضع الحجر ، إلى أن قال : واتّفق المحقّقون على أنّ القول الأول أولى ، ويدلّ عليه وجوهٌ :

الأول – ما روى جابر انّه عليه السلام لما فرغ من أتى المقام وتلا قوله تعالى : واتّخذوا من مقام ابراهيم مصلّى . فقراءة هذه اللّفظة عند ذلك الموضع تدلّ على أنْ المراد من هذه اللفظة هو ذلك الموضع .

وثانيها – ان هذا الاسم في العُرف مختص بذلك الموضع والدليل عليه أن سائلاً لو سأل المكّيّ بمكة عن مقام ابراهيم لم يجبه ، ولم يَفْهَمْ منه الاّ هذا الموضعَ .

وثالثها – ما روي انه عليه السلام مرّ بالمقام ومعه عمر ، فقال : يا رسول الله أليس هذا مقامَ أبينا ابراهيم ؟ قال : بلى . قال : أفلا نتخذه مصلّى ؟ قال : لم أُومَر بذلك . فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت الآية .

ورابعها – ان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رِجْلا ابراهيم عليه السلام . وذلك من أظهر الدلائل على وحدانية الله تعالى . ومعجزة إبراهيم عليه السلام ، فكان اختصاصه بابراهيم أولى من اختصاص غيره به ، فكان اطلاق هذا الاسم عليه أولى .

وخامسها – أنّه تعالى قال : واتّخذوا من مقام ابراهيم مصلّى وليس للصلاة تعلّقٌ بالحرم ، ولا بسائر المواضع

الاّ بهذا الموضوع ، فوجب أن يكون مقام ابراهيم هو هذا الموضع .

وسادسها — أن مقام ابراهيم هو موضع قيامه ، وثبت بالأخبار انه قام على هذا الحجر عند المغتسل .

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري :

« واتّخذوا من مقام ابراهيم مصلىّ ، وقع في روايتنا . واتّخذوا بكسر الخاءِ على الأمر ، وهي إحدى القراءتين . والأخرى بالفتح على الخبر والأمر دالّ على الوجوب . لكنْ انعقد الاجماع على جواز الصلاة الى جميع جهات الكعبة ، فدلّ على عدم التخصيص . وهذا بناءً على أنّ المراد بمقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثَرُ قَدَمِهِ ، وهو موجود الى الآن . وقال مجاهد : المراد بمقام ابراهيم الحرم كلّه ، والأوّل أصح . وقد ثبت دليلُه عند مسلم بن حديث جابر . وسيأتي عند المصنّف أيضاً قوله : مصلىّ أي قبلةً قاله الحسن البصري وغيره ، وبه يتمّ الاستدلال .

« وقال مجاهد : أي مَدعى يُدعى عنده . ولا يصحّ حملُه على مكان الصلاة ، لأنّه يُصليّ فيه ، بل عنده . ويترجّح قولُ الحسن بأنه جارٍ على المعنى الشرعيّ ، واستدلّ المصنّف على عدم التخصيص أيضاً بصلاته صلى الله عليه وسلّم داخل الكعبة » .

وقال الطبريّ :

« ... وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون : ان مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي هو في المسجد الحرام لما رأينا آنفاً عن عمر بن الخطاب . ولما حدثنا يوسف بن سليمان قال : حدثنا حاتم بن اسماعيل ، قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلّم الرّكن ، فَرَحَلَ ثلاثاً ، ومشى اربعاً ، ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ : واتّخذوا من مقام ابراهيم مصلىّ . فجعل المقام بينه وبين البيت فصلىّ ركعتين . فهذان الخبران يُنْبِئان أن الله تعالى ذِكْرُهُ : إنّما عَنَى بمقام ابراهيم الذي أمرنا باتخاذه مصلى ، هو الذي وصفنا ، ولو لم يكن على صحة ما اخترنا في تأويل ذلك خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم لكان الواجبُ فيه من القول ما قلنا . وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول ، حتى يأتي ما يدلّ على خلاف ذلك ، ممّا يجب التسليم له .

« وقال ابن كثير بسنده عن ابن جريج : سألت عطاء عن : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلىّ . فقال سمعت ابن عباس قال : أما مقام ابراهيم الذي ذكره هنا فمقام ابراهيم هذا الذي في المسجد » هـ

فائدة :

وخرّج البخاري بسنده عن انس قال : « قال عمر : وافقت ربي في ثلاثٍ فقلت يا رسول الله : لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلّى ، فنزلت : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى الى آخر الحديث . قال في عمدة القاري والمعنى في الأصل : وافقني ربّي فأنزل القرآن على وفق ما رأيتُ ، ولكنه راعى الأدب ، فأسند الموافقة الى نفسه ، لا إلى الربّ جلّ وعزّ . ثمّ قال بعد كلامٍ : فان قلتَ : حصلت الموافقة في أشياء غير هذه الثلاثِ : منها في أسارى بدر حيث كان رأيه أنْ لا يفسدون فنزل ما كان لنبيّ أن يكونَ له اسرى . ومنها في منع الصلاة على المنافقين ، فنزل : ولا تُصلّ على أحد منهم مات أبداً ، ومنها في تحريم الخمر ، ومنها ما رواه أبو داود الطيالسي من حديث حمّاد ابن سلمة ، حدثنا عليّ بن زيد عن انس قال عمر : وافقتُ ربي في أربع وذكر ما في البخاري . قال ونزلتْ : ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر . فقلتُ أنا : « تبارك الله أحسن الخالقين . فنزلت كذلك . ومنها في شأن عائشة رضي الله عنها لما قال أهل الإفك ما قالوا . فقال يا رسول الله : من زوّجكها . فقال : الله تعالى قال : أفتنظر ان ربّك دلّس عليك فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم . فأنزل ذلك . ذكره المحب

الطبري في أحكامه ، وقد ذكر ابوبكر بن العربي : ان الموافقة في أحد عشر موضعاً . قلتُ يشهد لذلك ما رواه الترمذي مصحّحاً من حديث ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر رضي الله تعالى عنه الاّ نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر رضي الله عنه . وهذا يدلّ على كثرة موافقته » هـ

وقال في عمدة القاري :

« قال ابن الجوزى : فان قيل : ما السرّ في أن عمر رضي الله عنه لم يقنع بما في شرعنا حتى طلب الاستنان بملة ابراهيم عليه السلام ، وقد نهاه صلى الله عليه وسلّم عن مثل هذا حين أتى بأشياءَ من التوراةِ ؟ فالجواب ان عمر لمّا سمع قوله تعالى في ابراهيم : انّي جاعلك للناس اماماً . ثم سمع : انْ اتّبع ملة ابراهيم علمَ أنّ الائتمام به مشروع في شرعنا دون غيره ، ثم رأى البيت مطافاً ، وأن أثرَ قدَميه في المقام كرقم اسم الباني في البناء ليُذكَرَ به بعد موته ، فرأى الصّلاةَ عند المقام كقراءة الطائف بالبيتِ اسم من بناه » هـ

وبعد هذا الاستطراد أعود الى صلب الموضوع فأقول :

ان الروايات التي تسند نقل عمر للمقام تصرح بأنّه رضي الله عنه انما ردّه فقط إلى الموضوع الأصلي . فانّ النّصوصَ اذا جاءت على وتيرة واحدة كانت كالصريح .

ومن ذلك قول الحافظ بن حجر في فتح الباري (ج ٧ ص ١٣٧)

« وكان المقام من عهد ابراهيم لزيق البيت إلى أن أخّره عمر رضي الله عنه الى المكان الذي هو فيه الآن. أخرجه عبدالرزاق في مصنّفه بسند صحيح عن عطاء وغيره. وعن مجاهد أيضاً.

« وأخرج البيهقي عن عائشة مثلَه بسند قويّ. ولفظه: ان المقام كان في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلّم. وفي زمن أبي‌بكر ملتصقاً بالبيتِ ثم أخّره عمر.

« وأخرج ابن مردوية بسند ضعيف وعن مجاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي حوّله. والأول أصحّ.

« وقد أخرج ابن أبي‌حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال: كان المقام في سفح البيتِ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم فحوّله عمر. فجاء سيل فذهب به فردّه عمر اليه. قال سفيان: لا أدري أكان لاصقاً بالبيت أم لا ». ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار اجماعا. وكان عمر رأى ان إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين، فوضعه في مكان يرتفع به الحرج وتهيّأ لهذلك، لأنه الذي كان اشار باتخاذه مصلىّ. وأوّل مَنْ عمِلَ عليه المقصورة الموجودة الآن

وفي فتح الباري أيضاً (ج ٣ ص ٣٥١) في شرح حديث عائشة: (لولا ان قومك حديثو عهدٍ ...) عند

ذكر فوائد الحديث : « وفيه إجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره ، وما يخشى منه تولّد الضّرر عليهم في دين ودنيا . وتألّف قلوبهم بما لا يترك فيه أمرٌ واجب المصلحة . وفيه تقديم الأهمّ فالأهمّ من دفع المفسدة ، وان المفسدة اذا أُمِنَ وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة . وحديث الرجل مع أهله في الأمور العامّة ، وحرص الصحابة على امتثال أوامر النبيّ صلى الله عليه وسلّم .

حكى ابن عبدالبرّ وتبعه عياض وغيرُه عن الرشيد أو المهدي أو المنصور أنّه أراد أن يعيد الكعبة على ما فعله ابن الزبير ، فناشده مالك في ذلك وقال : أخشى أن تصير ملعبة للملوك » قال الحافظ : وهذا بعينه خشية جدّهم الأعلى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فأشار على ابن الزبير لمّا أراد أن يهدم الكعبة ، ويجدّد بناءَها ؛ بأن يُرمّ ما وهى منها ولا يتعرّض لها بزيادةٍ ولا نقصٍ . وقال له : لا آمن أن يجيء من بعدِك أمير فيغير الذي صنعت . أخرجه الفاكهي » هـ

وجاء في المدونة (ج ٢ ص ٣١٢ من الطبعة الأولى التي وصفت بأنّها أول طبعة ظهرت على وجه البسيطة) في كتاب الحج الأول ما نصه : « قال مالك : بلغني أن عمر بن الخطاب لما وُلي ، وحجّ ، ودخل مكّة ، أخّر المقام الى موضعه الذي هو فيه اليوم ، وقد كان ملصقاً

بالبيتِ في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وعهد أبي بكر ، وقبل ذلك . وكانوا قدّموه في الجاهلية مخافة أن يذهب به السيل . فلما ولي عمر أخرج اخيوطة كانت في خزانة الكعبة قد كانوا قاسوا بها ما بين موضعه وبين البيتِ ، إذ قدّموه مخافة السيل ، فقامه عمر فأخّره الى موضعه اليوم ، فهذا موضعه الذي كان فيه في الجاهليةِ وعلى عهد ابراهيم . قال وسأل عمر في اعلام الحرم ، واتبع رعاة قدماءَ كانوا مشيخة من مكّة : « كانوا يرعون في الجاهليّة حتّى تتبع أنصاب الحرم ، فحدّدهُ ، فهو الذي حدّد أنصاب الحرم ونصبه » . وهذه النقول من الكتب المعتمدة تلقي الضوء للقارىء على مقام ابراهيم والله ولي التّوفيق . هـ

الباب الثاني

في بحوث في هذا الموضوع

أولاً — علمنا مما تقدّم من النقول الصحيحة أن عمر رضي الله عنه لم ينقل المقام لكثرة الحجاج والإزدحام فحسب ، بل تحرّى موضعَه الأصلي على ما في أكثر الرواياتِ ، وردّه اليه ، بعد أن نقله السيل منه .

ثانياً — أنّ في بعض الكتب القديمة ان هذا المحل كان بيتَ ابراهيم عليه السلام . والعقلُ يقبله ، ولا يوجد دليل يكذبه . فمقام ابراهيم على هذا هو بيته الذي كان يقيم فيه ، ويضع فيه الحجر في بعض الاوقاتِ . حتّى بقي فيه وهلم جرّا فان نُقل الحجر بقي عندنا شكّ هل هذا المكان من مكة يصدق عليه مقام ابراهيم أم لا ؟

ثالثاً — المقام في اللغة العربية يطلق على الحجر وعلى موضعه ، وهذا الموضع بقي موضع الحجر ، وبقي مسمّى مقامَ ابراهيم قبل نزول الآية وبعدها إلى أن مضى عليه عشرات القرون ، أو أربعة عشر قرناً على الأقل ان قلنا

انه من عهد ابراهيم أو من عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم وعهد أبي‌بكر وعمر ، أو من عهد عمر فقط ، فالأولى بقاؤه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

رابعاً – ان النبيّ صلى الله عليه وسلّم تجنّب هدم الكعبة التي بنتها قريش ، وقصّروا في بعض الأركان ، لما يتوقّع من استنكار قلوب الناس ، على ما ترتب من بقاءِ بنائهم من ضرر ديني ، وهو اداء الجهلةِ صلاتهم في جوف الكعبة فتبطل ، وتحمّلت السلطات المشقة المرّة تلوَ المرّة بل وحتى أئمة المسجد في تنحيتهم ، وهذا مشاهد في كلّ وقتٍ فإبقاء المقام الذي لا يترتب عليه بطلانُ صلاةٍ أولى .

خامساً – إنّ توسعة المطاف ممكنةٌ بدون نقل المقام ، فيمكن هدم البناءِ الذي على بير زمزم حيث لم يترتب عليه حكم شرعيّ فيما أعلم ، ونقل المنبر كذلك . على ان معنى التطهير المأمور به في الآية هو التنظيف ، والتطهير من الأوثان ، وما الى ذلك من كل شرك أو ما يشبهه ، ولا يتناول بوجه من الوجوه نقل المقام . وقد زجر الامامُ مالكٌ رحمه الله لما أراد هدم بناءِ الحجاج عن ذلك وقال مقالته المعروفة . فبقاء هذه المقدسات كما هي أوقع في نفوس المسلمين ، والحق لهم .

سادساً – هبِ الذي نقل المقام إلى محله الحالي هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فلنا سند وعمدة بعمر حيث

أمرنا باتّباعه من قبل الشّارعِ والشارع صلى الله عليه وسلم أُمِرْنَا باتباعه في غير ما آية ، كما سيأتي في الخاتمة . فان شيئاً فعله عمر كشيءٍ فعله الرسول : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الآية .

سابعاً — أجمعت الأمة منذ أربعة عشر قرناً على اتخاذ هذا المحلّ بالذات مصلىّ . والأمة لا تجتمع على ضلالة .

ثامناً — اذا اختلفت الآراء ، وتنازعت الاحتمالات وجب الرجوع الى الأصلِ . والأصلُ هو بقاء المقام في هذا المكان منذ أربعة عشر قرناً على الأقل . أو آلاف السنين ان مشينا على أن موضعه اليوم هو موضعه من عهد ابراهيم عليه السلام وهلمّ جرا .

تاسعاً — ان الله تبارك وتعالى فضّل بعض الأشياء على بعضٍ وذلك في الأشخاص ، والأزمنة والأمكنة : كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى . وحتّى خصّ بعض أركان البيت بما ليس لبعض الأركان . وقد علمنا ان الحرم كلّه له الفضل على الحلّ ، ومعلوم ان المسجد الموجود اليوم بعضه كان دار الندوة ، أو دار أبي جهلٍ مثلاً . فهل لنا أن نساوي بين هذه وبين هذا المصلىّ الذي بقي مصلىّ للأنبياء والصالحين من قديم الزمان وهلمّ جرا ، مع أن الكل له الفضل على سائر المساجد . فليُفهَمْ .

عاشراً — لوْ سلّمنا أنّ المقامَ كان لزيق الكَعْبَة ، فنقله عمر لكثرة الطائفين لوجدنا أن الحال في زمن عمر

رضي الله عنه تختلف عنها في هذا الزمن ، حيث أن المقام — وهو ملتصق بالبيت ، والازدحام خلفه — سوف يعوّق الطواف أشد تعويقٍ ، بخلاف ما لو وسع المطاف مع بقاء المقام فانه حينئذ يمكن أن يطوف الطائفون أمامه وخلفه على كثرة الازدحام . هذا والطواف والمقام بين الطائف وبين البيت لا مانع منه ، حيث انه يصحّ الطواف داخل المسجد ولو خلف حائلٍ .

حادي عشر — هنا سؤال يفرض نفسه وهو : ان سلمنا ان عمر هو الذي وضع المقام في محلّه الحالي ، وأجمع عليه الصحابة ، وفعل عمر رضي الله عنه حجة ، وإجماع الصحابة حجة ، فهل يقاس فعل غير عمر ولا يتأتى انعقاد الاجماع على فعله ؟

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : « والقول بأن اجماع الصحابة حجةٌ ، أقوى من القول بأن اجماع أهل المدينة حجة ، والراجح ان أهل المدينة ممن بعد الصحابة اذا اتفقوا على شيءٍ كان القول به أقوى من القول بغيره ، إلاّ أنْ يخالف نصًّا مرفوعاً » هـ

الثاني عشر — يجب على العلماء والأمراء أن يعاملوا العامة ويخاطبوهم بقدر عقولهم ، ويعينوهم على تعظيم حرمات الله « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له » . « ومن يعظّم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وإن بقاء الكعبة والمقام مما يعين على تعظيم الناس لهما .

ثالث عشر – لو فرضنا ان في ابقاءِ المقام خطأ ، فانه في نظري خطأ أهون من الخطأ في نقله ، لأنّا ان أبقيناه أبقينا فعل عمر ، فلا مسؤولية علينا ، وان نقلناه خطئاً فقد خالفنا السنة ، والمخالفة أشدّ : « فليحذر الذين يخالون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » . ولنكتف بهذا القدر ففيه للمنصف كفايةٌ والله تعالى أعلم وأحكم وهو ولي التّوفيق .

الخاتمــة

في الحث على الإتّباع وعدم الابتداع

القرآن الكريم قال : وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » . وقال : « إتّبعوا ما أنزل اليكم من ربّكم » وقال : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولوا الألباب » . وقال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » . وقال : « فانّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكرون » . وقال : « وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم لعلهم يتفكّرون » وقال : « واتبعوه لعلكم تهتدون » .

هذه الآيات وأشباهها تُلْزِمُنا أن لا نُقدِمَ على شيءٍ إلاّ بعد أن تَتَبَيَّنَ أنّه مما جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم ، وإلاّ فهو إحْدَاثٌ وردٌّ . وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنهما « من احدث في امرنا هذا ما لبس منه فهو ردّ » .

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعَظَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجِلتْ منها القلوب وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوْصنا . فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمّر عليكم عبدٌ وإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين عَضُّوا عليها بالنّواجذ وإيّاكم ومُحدْثاتِ الأمور ، فإن كلّ بدعةٍ ضلالةٌ ! رواه أبو داود .

وعن أبي سعيد الخدريّ قال : قال رسول الله صلىّ الله عليه وسلم مَنْ أكل طيّباً وعمل في سنّةٍ وأمِنَ النّاسُ بوائقه دخل الجنة . قالوا : يا رسول الله إنّ هذا في أمّتك اليوم كثيرٌ . قال : وسيكون في قومٍ بعدي . رواه ابن ابي الدنيا .

وعن ابن سيرين قال : كنتُ مع أبي عمر رحمه الله بعرفات فلمّا كان حين راح رحتُ معه حتى أتى الإمام وصلىّ معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحابٌ لي حتى أفاض الإمام فأفضْنا معه حتى انتهى الى المضيق دون المأزمين فأناخ وأنخْنا ونحن نحتسبُ أنه يريد أن يصليّ فقال : غلامه الذي يمسكُ راحلته انّه ليس يريد الصلاة ولكنّه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما انتهى الى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يَقْضيَ . رواه احمد ورواته مُحتجّ بهم في الصحيح .

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ . رواه البخاري.

وعن عرباض بن سارية رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : لقد تركتُكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك . رواه أبي عاصم .

وأثني عِنَانَ القلم أترك المجال لغيري حيث أن القصد هو ظهور الحق وتبيينه ، والحق أحق أن يتبع والحكمةُ ضالّهُ المؤمنين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وأعتذرُ عند ذوي الألباب من كل تقصير أو خطأ في مقالٍ أو كتاب . وأرجو من فضلهم أن ينظروا الى هذه السطور بعين الرضى والصّواب . فإن رأوا صواباً فذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، وإن كان غيرُ ذلك فالله المُستعان وإني معترفٌ بجهلي وقصور باعي ، والعلمُ عند الله ، وفوق كل ذي علم عليم وهو سبحانه ولي التوفيق والحمد لله أوّلاً وآخراً . سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من تسويدها ٢ صفر ١٣٨٣ بمدينة كولخ بجمهورية السنغال .

التقـــاريظ

الحمد لله

لقد اطّلع على هذا الكتاب كثير من العُلماء في بلادنا وكلّ منهم أثنى عليه خيراً ، وإنّني مُثْبتٌ هنا نماذج من تقاريظهم .

(١)

قال العلاّمة الأستاذ الكبير أحمد محمود بن محمد الكبير العلوي الشنجيطي :

« لسَبيلُ السّلام دون كلام .
في بقاءِ المقام » سُبُلُ السّلامِ
ان تدبرته علمت يقينـــاً
أن سبيلُ السلام تركُ المقام
ومقامُ الخليلِ أصدقُ قـــولٍ
فيه قولُ الشيخِ الخليلِ الهُمامِ
خاض في مزبد العلـــوم فأبدى
دُرَرَ الحق كاشفاتِ الظـــلام

أوضحَ الحقَّ فيه عقلاً ونقــلاً
وقياسا فجــاء بَدْرَ التّمــامِ

جاء مِنْ فكرة من العلم ملأى
قصدها الحقّ لا تُزَنّ بــذامِ

دَأبُها النّصحُ للإلــه وللــرّسْ
ل جميعــاً وقــادةِ الإســلام

أحكمته بمحــكم الآى والأج
ماعِ : إجماعِ صحب خير الأنام

فأتى وأضحا أشدَّ وضــوحٍ
خالصــاً سائغاً لدى كلّ ظــام

خالياً منْ خطــا التآليف حال
بمقــال الأئمّــة الأعــلام

ثمَّ أبــدى مكان كلّ كــلام
كيْ يــرى دامغاً ألدَّ الخصــام

فكرة مــا تزاحَم القوم إلاّ
وضعت نعلهــا على كل هــامِ

فلكم قرّبت بعيــداً وأبــدت
منْ خفيّ ، وأبرأتْ من ســقامِ

وصلاة عــلى شفيع البرايــا
وســلامٌ مجــدّدٌ بســلام

(٢)

وقال العلاّمة الأديب السيد محمد عبدالله ابن السيّد محمد بن محمد عبدالله العلويّ :

هو الحقّ نور قد أتى يخبط الظلمْ
يترجم بالقرطاس والنفس والقلمْ
يجود بـــه فكرُ مجيدٌ وهمّـــة
وحافظـــة شمل العلوم بها انتظَمْ
به الشيخ ابراهـــيم دلى يدلّنـــا
على أنّ ابقاءَ المقـــام هو الأهمّ
بـــه الشيخ ابراهيم أدلي مصرّحـــاً
ولم يـــك مرغوماً ولا هـــو متّهَمْ
ولكنـــه لمّا رأى ذي مصيبـــةً
على الدين أفتى داعياً غير ذي صمم
فساق صحيحـــات النقول مساقَها
ووضّح منها ما على ذي الفهوم غُـم
فأبدى لنا سبل السّلام مبَاحِثـــاً
صوارم لا تبقى التباسا لمن فَهِـمْ
مباحث للموضوع في جوفها الفرى
مطاهر من غشّ وريبٍ ومن سقمْ
أتى بنصوص الآي وهـــي صريحةٌ
وأيّد بالإجماع من خيرة الأمَـمْ

ووافى بدَوْرٍ مــن أحاديث أحمد
يشير الى حــدّ المحلاتِ في الحرم
وأفْحَمَ بالفاروق اذ فرض قفوه ،
به انعقد الاجماع بلْ فوقَ بل أعم
وأومأ بالتحذير في قــول مالك
إلى ان في الاحداثِ ضرّاءَ لنْ تُرَمّ
ووفّق بين الناقلــين لكي ترى
وأنّ مساقَ الكلّ ترك المقام ثمّ
الا فاعتنق سبل السّلام فإنّـــه
لبحر من الأحكام بالحقّ والحكمْ
عليك بـــه نوراً منيرا تلقّـــهُ
وصاحبه واحفظه وعظّمه واغتنمْ
وإياك ـ حاشا ـ والتعصّب ، إنّـــه
زكام مضرّ يُعقب الزيــغَ واللّمَمْ
وإنّا جميــعَ المسلمين كما تَرى
لنا الحقّ في ذاك المقام وإن هُدِمْ
ومن رام تتميما لوســع مطافنا
ففي رأينا ترك المقام هــو الأتمّ
وقد نصحت سُبلُ السلام وأوضحت
فمن شاءَ فليسمع ومن شاء فليهمم
صلاة على من أكمــل الدين يومه
فحدّد ما يوتى وما كان يُحترمْ ه

(٣)

وقال شاعر الشباب ، الفتى الأديب الوطنيّ الغيور السيد محمد الكبير بن حرمه العلويّ(١) :

شمس الهدى أشرقتْ فاجتاحت الظُلما
وبدّدت من زكام الشك ما ارتكما .
هذا سبيل سلامٍ فاتخذه هدىً ،
واجعله للدّين والنّهج القويم حمى
وافى به الشيخ إبراهيم يُرشدنا
فأتحف الدين والأقطارَ والأمما
قد قام منتصراً للحقّ محتسبا
وأعمل الفكر والقرطاس والقلما
فجاءنا بيواقيت مفصّلة
درّاً فدُرّا ، فجاءَ العقّد منتظماً ،
وجاء فيه بما يجلو الظلام وما
يحيى النفوسَ ويشفي الهمَّ والسّقما
فاشدد يديك به واختره منتهجاً
واجعله للسنة الغرّاء مُغْتَنَمَا
واجعل سبيلك إبقاءَ المقام ولا
تعدلْ عن الحق ، تقفُ السادةَ القُدما

(١) كل واحد من الشعراء الثلاثة تلميذ للمؤلف .

فكم تضمّن من آي مقدّسة

تُبدي من الحقّ ما قد كان مُكْتتِما

وكم حوى من أحاديث مصحّحة

ومن قياسٍ وإجماعٍ قد التُزِمَا

ومن بحوث وآراءٍ مسلّمة

فكلّها من دواعي الطّعن قد سلِما

فجاءَ وفْقَ مرادِ المخلصين على

ما يطلبون ، وأضحى تحفة العُلَمَا

* * *

أقادة الدين ما للحقّ غيرُكُمُ

وان للحقّ في أعناقكم ذِمَمَا

فناصروه ، وقوموا دون حوزته

وأيّدوه اذا ما جاء مُحتكما

تمسّكوا بتقاليد الأُلى درجوا

على سبيلٍ وساروا في الهدى قُدُما

لا تفتحوا الباب للتجديد واحترموا

تلك المواقف والأقداس والحرما

صونوا المقام بإبقاءِ المقام فإن

نكّرتموه فقد نكّرتم العلمَا

صلى الاله على الهادي وسلّم ما

لاحت شموس الهدى فاجتاحت الظّلما